

الخبيس 07-08-2008

342-أحلام فترة النقاهة "نص على نص"

نص اللحن الأساسي (حلم 79)

جلست في شرفة الفندق الصغير المطلة على البحر. غاب عني المنظر الجميل لشدة استغراقى في انتظار فتاتى. ولما طال الانتظار جاءنى مدير الفندق وهو أيضا صديق صباى واقترح على أن أعالج حالتى بالمشى. ذهبت إلى الشاطئ ورحت أسير ذهابا وإيابا. وإذا بى ألح فتاتى فى سباق سباحة مع نفر من الشبان أحدهم مضى بها إلى الصخرة ليستريحا بعيدا عن الأعين، تلتقيت طعنة فى القلب وغرقت فى إحباط لا قرار له وأدركنى المدير الصديق وقال:

- هذا هو حال الدنيا فلا تستسلم للحزن.

فقلت له:

- أنت تعلم أنى عرفت أشياء كثيرة ولكنى لم أتعلم السباحة، وأخذنى إلى ركن هادئ فى حديقة الفندق، وبقيت ساعة فى غم وهم. وإذا بمفاجأة غير متوقعة مجال، رأيت فتاتى تقبل نحوى متهللة الوجه بالسعادة، وتوثبت لإفراغ شحنة من غضبى. وإذا بى ألقى مفاجأة جديدة. غير متوقعة وغير مفهومة وتستعصى على أى إدراك، فقد غمرتنى بغتة فرحة شاملة مسحت عن صدرى الأحزان كلها وكأن ما كان لم يحدث وهكذا تقابلنا كما نتقابل كل مرة، وذهبنا للتجول فى المدينة كالعادة، ولما مررنا بمحل بيع الهدايا دخلنا دون تردد واتجهنا إلى القسم المخصص لهدايا الخطوبة والأفراح، وقلبت فتاتى عينيها فى الهدايا التى لا تحصى وقالت:

- ليس لدينا من الوقت ما يكفى.

فقلت براءة:

- لدينا وقت يكفيننا للأبد.

التقاسيم

قالت: يكفيننا لنفعل ماذا؟

قلت لها: يكفيننا لننسى

قالت: ولماذا ننسى؟

قلت: حتى لا نتذكر

قالت: وهل تصدق أن هذا ممكن؟! نحن نضحك على أنفسنا، نحن لا ننسى شيئاً أبداً.

قلت لنفسى وقد أغلقت مسام فهمى: أفضل ما يمكن أن أفعله هو أن أصمت، ودعوت الله في سرى أن تصمت هي أيضاً، وطالت وقفتنا حتى نظر إلينا بائع الهدايا وسألنا أن نطلب ما نريد، أو أن نفسح لمن بعدنا حتى نستقر على قرار، قلت لها: أنت التي تختارين الهدية التي تحبينها، قالت: لابد أن أسأله أولاً، قلت: تسألين من؟ قالت: خطيبي. فامتلت زهوا وأنا أتصور أنها ترد لي الجملة، وتطلب أن أقوم أنا بالاختيار، واعتبرتها تمزح وهي تتكلم عنى بضمير الغائب، فقلت لها: أين هو؟، "وانتظرى أن تشير إلى أو تقبلني، لكنها قالت: فوق الصخرة، قلت في بله ذاهل: أية صخرة؟ قالت: هل نسيت؟ واختفت من أمامى وكان الأرض ابتلعتها. شعرت كأن العالم انتهى في تلك الثانية، وحين أفقت وجدت نفسى أتساءل: أى منظر من كل هذه المناظر كان حلما وأيها كان الحقيقة؟

وتحسست خنجرا قديما كنت قد خبأته بين لحمى وقميصى، وانطلقت أبحث عنها في كل مكان حتى الآن، وأنا أترحم على والدى.

نص اللحن الأساسى (حلم 80)

جمعتنا الحجرة القديمة أنا وأمى وأخواتى الأربع وما أن أغلق الباب علينا حتى تصاعدت الشكوى من الزمان والناس، فأقبلت أمى على قلقة وأقسمت بكل يمين أنه ما من قول قالته أو فعل فعلته إلا بدافع الحب الخالص فتساءلت أصوات: إذا كيف حدث ما حدث؟

فقالت أمى بعتاب: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم أيضاً وألا تقولوا معى إنه المقدر والمكتوب.

التقاسيم

وراح كل منا يحاسب نفسه بصوت بعضه مسموع والباقي نستسنجه

قالت أختى الكبرى: أنا مسئولة عن أننى أحببت، ووثقت فيمن أحب.

قالت أختى الأصغر منها: وأنا مسئولة عن أنى لم أستطع ان أحب.

وقالت أختى التى تليها: وأنا مسئولة عن أنى لم أصدق أن أحدا يمكن أن يحبني.

وقالت أختي الصغرى: وأنا مسؤولة عن أنى صدقت أن كل الناس تحبني.

أما أنا، فقد وجدتي أعيد ما بدأت أمى به وأقول لنفسي ولهم: أنا أيضا لم أفعل ما فعلت إلا بدافع الحب الخالص، إذأ، كيف حدث ما حدث؟

قالت أمى وكأنها تفخر بنا. أو لعلها تمنّ علينا، أنا التي أمجبتكم في الدنيا هكذا، فما دخل المقدر والمكتوب؟

فاتجهت انظار أخواتى نحوها الواحدة تلو الأخرى بالتتالي، وفي كل نظرة من كل واحدة منهن ما فيها من عتاب، واحتجاج، وألم، وندم، وسماح، ورفض، ودهشة.

وحين جاء الدور على جريت نحو أمى واختبأت في صدرها أنهنه، وأنا أردد: أنا آسف، والله العظيم أنا آسف، لم أكن أقصد.

قالت: بل أنت هكذا دائماً.